في هذا العدد

أحدث الانقسام بين سلطتي رام الله وغزة جرحاً بليغاً في الجسد الفلسطيني المثخن بالجروح، ولعل أثر هذا الجرح الذي يشلّ قدرة الحركة الوطنية الفلسطينية على المبادرة في مواجهة الاستيطان الإسرائيلي الزاحف، وغطرسة القوة والاستعلاء، جعل من النكبة مساراً مستمراً.

غير أن هذا الانقسام ليس وليد تضارب في السياسات والمقتربات الأيديولوجية فحسب، بل إن جذوره موجودة في البنية التي تأسست بعد اتفاق أوسلو، وفي تهميش منظمة التحرير، الأمر الذي سمح بتحويل فلسطين إلى ساحة للصراعات الإقليمية. فبدلاً من أن تكون فلسطين وقضيتها مركز الصراع ومرجعيته السياسية والأخلاقية، تجري منذ أعوام عملية نزع هذه المرجعية. وفي مقالة "الاستقطاب في الحقل السياسي الفلسطيني"، يقدم جميل هلال قراءة لهذا الواقع، تصلح لأن تكون بداية مناقشة فلسطينية جدية سعياً للخروج من مأزق هذا الانقسام.

إن الاستغلال الإسرائيلي للمأزق الفلسطيني، أوقع السلطات الإسرائيلية في مأزقها الأخلاقي، وهذا ما عبرت عنه الحرب على غزة في سنة 2009/2008، وما كشفته "الشّرعة الأخلاقية للجيش الإسرائيلي"، التي يفنّدها محمد علي الخالدي في دراسته، فكرياً وفلسفياً وسياسياً، ويكشف زيفها الأخلاقي، وما تختزن من تبريرات للعنف الوحشي ضد المدنيين الفلسطينيين، تتناقض مع المواثيق الدولية كافة.

والعنف يعبر عن نفسه بأكثر من طريقة، وهنا يأتي "التطهير الاسمي"، كي يشكل امتداداً للتطهير العرقي الذي تعرضت له فلسطين في سياق نكبتها بالغزوة الصهيونية. ونكبة الأسماء ومحو الذاكرة واحتلال المعنى عبر التزوير والخرافة، هي موضوع المعالجة المستفيضة التي يقدمها عبد الرحيم الشيخ في دراسته: "متلازمة كولومبوس وتنقيب فلسطين: جينيالوجيا التسمية الإسرائيلية للمشهد الفلسطيني".

والصراع ليس على الأرض فقط، بل على الحكاية أيضاً. ومحمود درويش الذي مرت في 9 آب/أغسطس الماضي الذكرى الثانية لوفاته، ساهم في صوغ الهوية الفلسطينية من خلال شعره الذي استعاد الاسم الفلسطيني. فالأدب، بسبب قدرته على تحويل التجربة المعيشة إلى مقترب إنساني شامل، هو أرض موازية، عليها يدور الصراع بشأن ذاكرة الأرض ومستقبلها. وفي هذا الميدان يكتب الياس خوري: "محمود درويش، الهوية وسؤال الضحية".

إضافة إلى ذلك، يتضمن العدد مقالات لجورج قرم وحسين أبو النمل وساري حنفي وسعود المولى، وملفاً عن الواقع الفلسطيني في الأردن وانعكاسه على مسألة الهوية، ووقائع الندوة التي عُقدت على هامش اجتماع مجلس أمناء مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت في 20 حزيران/يونيو 2010، والتي قدم المشاركون فيها إضاءات على تطورات القضية الفلسطينية في هذه الفترة، وقراءات تستطلع جوانب من مستقبلها. كما يضم تقريراً ثقافياً هو جزء من باب ثابت سيكون عنوانه "فصليات"، وهو يتضمن ثلاثة تقارير تعالج الوضعين الفلسطيني والإسرائيلي فضلاً عن الثقافة. علاوة على ذلك، احتوى العدد تحقيقاً ميدانياً، وقراءات ووثائق.

يصر الإسرائيليون على عبرنة الأسماء في فلسطين، وهذا ليس هوساً بالخرافة فحسب، بل محاولة لتأبيد الاحتلال أيضاً، واستنزاف الضحية الفلسطينية عبر "تنازلات"، من جولة مفاوضات إلى أُخرى. وما يخشاه أي مراقب موضوعي، هو ألاّ تكون المفاوضات المباشرة التي أملى نتنياهو شروطها على الإدارة الأميركية، وفرضتها هذه بدورها، على السلطة الفلسطينية الضعيفة، سوى فرصة جديدة للمماطلة الإسرائيلية، وتبديداً للوقت ريثما تستكمل خريطة توسعها على أراضي الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية، وتفرض ما تسميه "حقائق الأمر الواقع" على أي تسوية.

يعرف قادة السلطة الفلسطينية أن أي مفاوضات إنما تعكس موازين القوى القائمة. وفي ظل التراجع العربي الشامل، والانقسام الفلسطيني، و"الخواف" من السلاح النووي الإيراني، فإن مفاوضات لا يكون فيها الطرف الفلسطيني متماسكاً، ومتشبثاً بالثوابت الوطنية، وقادراً على تقديم بدائل نضالية من الفشل المتوقع، ومدعوماً بثقة الشعب الفلسطيني وإجماع فئاته، لن تكون إلاّ إضاعة للوقت تسمح لإسرائيل بإيجاد مخارج لفظية من استمرار الاحتلال.

ولا شك في أن السلطة الفلسطينية ذهبت إلى المفاوضات شبه مرغمة، وبناء على دعوة ملتبسة جاءتها بلسانين. غير أن الخضوع للضغط الشديد الذي تعرضت له، يُخشى أن يعكس أيضاً بعض الاقتناعات الوهمية بأن السلام ممكن بالضغط الأميركي على إسرائيل. وهذه الأوهام هي المنزلق الذي يجب عدم السقوط فيه، فقدرة الإدارة الأميركية على ممارسة الضغط محدودة بحدود المصالح الأميركية وتوازن القوى داخل المؤسسات الحاكمة في واشنطن.

وحده الشعب الفلسطيني مَن يستطيع ممارسة الضغط على الاحتلال، بمختلف أساليب نضاله، وإبداعات تجربته الكفاحية، شرط أن تستعيد فلسطين مركزيتها ووحدتها، وينتهي الانقسام الفلسطيني البائس، وتعود قضية

فلسطين مقياساً سياسياً وأخلاقياً في العالم العربي. ■

هيئة التحرير
2010/8/27

محيي الدين اللباد

جاءنا، والعدد في مرحلة الطباعة، نبأ وفاة الفنان الكبير محيي الدين اللباد في القاهرة، بعد صراع مع المرض. واللباد الذي صمم "الماكيت" الجديد لمجلة الدراسات الفلسطينية، لم يكن زميلاً فقط، بل كان مُعلماً وعلامة في تطور فن الغرافيك العربي، ورسام كاريكتور ومصمم أغلفة، ورائداً في إنتاج أدب جديد للطفل العربي أيضاً.

جاء اللباد إلى بيروت كي يساهم في صناعة ورشة "دار الفتى العربي"، وقد حمل معه من تجربته في "روز اليوسف"، نبض رؤية جديدة للفن والرسم والخط وصناعة الكتاب. ومن تلك الورشة الفلسطينية ارتسم أفق جديد لإبداع أدب الأطفال في المشرق العربي، حمل بصمة اللباد ورؤيته لطفولة العالم.

كان مبدعاً في كل شيء، كتب ورسم وصمم، ونال الجوائز، لكنه بقي حتى لحظاته الأخيرة طفلاً يكتشف العالم بعيون جديدة، ويعمل كي يؤسس للكتاب العربي فضاء مختلفاً يجمع بين الأصالة والحداثة. اخترع حروفاً، ورسم نقداً لاذعاً لأنظمة القمع، وكان متواضعاً ونبيلاً وفناناً.

في العدد المقبل سنقدم قراءة لنتاج اللباد الذي ساهم في بناء ذاكرة أعيننا.